مجلة الدراسات الإفريقية

العـــدد الثانى ١٩٧٣

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٣ سنة ١٩٧٤

رئيس التحرير : د. محمد السيد غلاب
سكرتير التحرير : دكتور محمد عبد الغنى سعودى
المراسلات باسم : دكتور محمد عبد الغنى سعودى
٣٣ شارع المساحة بالدقى ـ القاهرة

المحتـــويات

الصفحة

القسم العربى :

١ – د . محمد عبد الغنى سعودى
سد الفولتا ١

٢ – د . سعد زغلول عبد ربه
الحركات الوطنية فى أنجولا ٣١

٣ – د . شوقى الجمل
قضية روديسيا ٦٩

٤ – د . سمير غبور
موارد الأسماك البحرية حول أفريقيا ١٢١

٥ – د . حسن عثمان
بعض ملامح أفريقيا فى مطهر دانتى ١٥٧

٦ – د . محمد نجيب نصار
الحفاظ على الموارد الوراثية ١٧٩

٧ – د . محمد محمد أمين
العبدلاب وسقوط مملكة علوه ١٩١

٨ – د . السعيد البدوى
أفريقيا الإستوائية (دراسة فى الجغرافيا الطبيعية) ٢١٩

٩ – د . سعاد شعبان
قرية هوروين ٢٥٣

القسم الافرنجى :

١ – د . محمد جابر بركات ، د . مصطفى امام
نبذة مبدئية عن تواجد كثبان رملية قديمة فى منطقة جصة فى شمال الدلتا . . . ١

بعض مـــلامح إفريقيـــة*
فى مَطْهر دانتى

SOME AFRICAN ASPECTS
in Dante's Purgatory

As Dante appealed to Africa's culture and tradition in the composition of his Inferno-as we have already treated in the first issue of this Journal, so he did the same in the composition of this Purgatory. For example he put here in one frame hirnself in company of Virgil, with Belaqua the musical instrument-maker of Florence, the river Ganges and Morocco. He put in one scene himself with virgil, statius, Guido Guinizelli the poet of the «dolce stile» and the inhabitants of India and Ethiopia. He again presented in one situation the Christ's symblo, the churche's symbol, Augustus Caesar, Scipio Africanus, pheton and Jupiter. All the African aspects that Dante chose were intrinsically woven within the elaborate and harmonious construction, in which he tried to express his ideas and create his art.

كانت المناطق المعروفة من إفريقيا جزءاً هاماً من العالم القديم، وأثرت وتأثرت بما حولها ، وأسهمت فى ثمرات البشرية ومصائرها ، ووضحت آثار ذلك فى هجرة الإنسان ، وانتقال الأساطير ، وانتشار العقائد والأديان ، وإندلاع الحروب ، وسير التجارة ، وثمرات العلم والفن والأدب ، وذكر كتّاب اليونان والرمان مثل هيرودوت وبليني وفرجيليو بعض صور أفريقيا وأخبارها . وفى العصور الوسطى اضطردت العلاقة بين إفريقيا والعالم الخارجى فى عهد الدولة البيزنطية ، وفى عهد الدولة العربية التى امتدت من شمال إفريقيا حتى الأندلس وصقلية ، واستمرت العلاقة بين الأوروبيين والشرق الأدنى بشقيه فى الشام ومصر ، وعرف الأوروبيون أجزاء من إفريقيا عن طريق الرحلات والتجارة وفى أثناء الحروب الصليبية . وكان من

الطبيعى خلال ذلك كله ، أن تنتقل عناصر من التراث الافريقى فى ثنايا التراث القديم والوسيط إلى عالم الغرب فى أثناء العصور الوسطى ، التى كانت آخذة فى التطور والتهيؤ لبلوغ عصر النهضة فى العصر الحديث .

ودخلت عناصر من الثقافة الافريقية فى ثنايا الأدب الإيطالى الوليد [1] منذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، وظهرت آثار ذلك فى ثقافة المدرسة الصقلية بزعامة الامبراطور فردريك الثانى [2] ، واستمرت تتابع نشأة الأدب الإيطالى [3] حتى ظهور دانتى أليجييرى ، الشاعر السياسى الجندى الفنان ، الذى عاش فى وطنه فى فلورنسا وفى سنوات المنفى الطويل فى أنحاء متفرقة من شمالى إيطاليا ، فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى [4] ، وظهرت بعض آثار من ثقافة إفريقيا فى مؤلفات دانتى وعلى الأخص فى « الكوميديا الإلهية » [5] .

وفى « المطهر » كما فى « الجحيم » اتخذ دانتى من ذكريات أفريقيا وصورها وتاريخها وبيئتها مصدراً لفنه العريق . وكما جعل من بعض تراث أفريقيا عنصراً فى بناء « الكوميديا » عندما هبط حلقات الجحيم وسط العواصف والنيران والأفاعى والجليد ، وأمام مشاهد الأسى والعذاب والدماء والدموع [6] كذلك فعل دانتى فى بناء « الكوميديا » حينما صعد جبل المطهر ، وتغلب على صعاب المرتقى ، وشهد تطهر النادمين وغفران خطاياهم . ولنعرض لبعض ما أورده دانتى فى المطهر عن أفريقيا .

فى الأنشودة الرابعة كان دانتى برفقة أستاذه فرجيليو يصعدان الجبل فى مقدمة المطهر ، ويبلغان منطقة المهملين الكسالى الذين تأخروا فى التوبة والتكفير عن آثامهم حتى آخر لحظة من حياتهم ، وعقابهم أن يبقوا فى موضعهم قبل دخول المطهر الحقيقى زمناً طويلا [7] . ورأى دانتى بلاكوا صانع الآلات الموسيقية الفلورنسى وقد جلس مخفضاً رأسه بين ركبتيه ، وبدا أكسل مما لو كان الكسل شقيقاً له . قال بلاكوا إن عليه أن يبقى فى موضعه بقدر الزمن الذى تأخرت فيه توبته وتكفيره ، إلا إذا عاونته صلاة صادرة عن قلب ينعم بالرحمة الإلهية ، إذ لا يسمع سواها فى السماء ، وهذا هو عذاب هذه المنطقة . وعندئذ تقدم فرجيليو صاعداً فوق الجبل ودعا دانتى إلى الصعود ، لأن الظهر قد حلّ فى الوقت الذى حلّ فيه الليل فى نصف

الكرة الشمالى من نهر الكنج إلى مراكش ، التى كانت الحد الغربى للعالم المسكون عند الجغرافيين فى عصر دانتى (٨) .

وفى الأنشودة السادسة والعشرين فى الإفريز السابع ، حيث يتطهر مرتكبو خطايا الجسد وسط نيران المطهر ، تقدم ستاتزيوس وفرجيليو ودانتى واحداً بعد الآخر ، بسبب ضيق المسافة الخالية من النار فى هذا الإفريز . وفى المسير ظهر ظل دانتى بجسمه الحى على النار المشتعلة فزاد توهجها ، فالتفتت أشباح المتطهرين إلى هذه الظاهرة الغريبة واتجهوا إلى دانتى وهم حريصون على ألا يتجاوزوا نطاق النار، لأن بقاءهم فيها هو سبيل التعجيل بهم إلى الفردوس(٩) . ومن بين هؤلاء قال جويدو جوينتزلى الشاعر البولونى إنه وجماعته متعطشون إلى معرفة كيف يظهر ظل دانتى على النار ، وأنهم فى ذلك أشد تعطشاً من الهندى أو الإثيوبى إلى الماء البارد ، وكانت إثيوبيا عند جغرافيي العصر واقعة فى المنطقة الإستوائية فى أقصى جنوبى أفريقيا(١٠).

وفى الأنشودة التاسعة والعشرين فى أعلى جبل المطهر فى الفردوس الأرضى وعلى مقربة من نهر ليتي ، رأى دانتى أربعة حيوانات — رمز الأناجيل الأربعة — ولكل منها ستة أجنحة وريشها ملىء بالأعين(١١) ، وسارت بينها عربة نصر — رمز الكنيسة الظافرة — يسحبها عنق جريفون — الحيوان الخرافى رمز المسيح ذى الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية — عند المسيحيين — ومد الجريفون جناحيه — رمز المحبة والعدل الإلهى — فى المسافة بين المجموعتين الثلاثيتين من سُرج اللهب على الجانبين ، بحيث لم تؤثر فيها حركة الجناحين . ورفع الجريفون جناحيه إلى السماء حتى لم ير دانتى نهايتهما . ويقول دانتى إن روما لم تمجد شيبون الافريقى الذى انتصر على هانيبال فى زاما فى شمال أفريقيا سنة ١٨٥ ، ولم تمجد أغسطس قيصر بعربة نصر جميلة كهذه التى رآها الآن ، بل إن هذه العربة فاقت فى جمالها عربة فيتون التى حاول الارتفاع بها إلى الشمس فقتله جوبيتر بصاعقة كما ورد فى الميتولوجيا الرومانية (١٢) .

وفى الأنشودة الثلاثين فى الفردوس الأرضى حينما اختفى فرجيليو بعد صحبته الطويلة لدانتى ، وحينما ظهرت بياتريتشى أمامه بكى دانتى ، فأخذت بياتريتشى تلومه على بكائه ، فأثقل جبينه خجل شديد (١٣) ، وبدت له كأم متعالية . وعندما صمتت رتّل الملائكة بصوت عذب « عليك يارب توكلت » . وكما يتجمد الثلج على

الأشجار فى جبال الأبنين حينما تهب عليه رياح سلافونيا الباردة ، ثم يذوب الثلج حينما تهب الرياح من الأرض التى تفقد الظل ، أى من أرض أفريقيا التى فيها الظل وقت تعامد الشمس على المنطقة الاستوائية ، وبذلك تصبح رياح إفريقيا كالنار التى تذيب الشمع — هكذا أصبح دانتى دون دمع وتنهد حينما عنفته بياتريتشى . ولكن عندما سمع ترتيل الملائكة العذب وأحس حنوّهم عليه ذاب الثلج الذى أطبق على قلبه ، وخرج مع الأسى من صدره : التنهد من الفم والدمع من العينين (١٤) .

وفى الأنشودة الحادية والثلاثين فى الفردوس الأرضى كانت بياتريتشى تتابع لومها لدانتى الباكى على سلوكه فى الحياة بعد موتها ، وكيف جرى وراء أباطيل الحياة التى أثقلت ريشاته ، وعندئذ أحس دانتى بالخجل فخفض بصره إلى الأرض كالطفل حينما يعترف بخطئه ويندم (١٥) . قالت له بياتريتشى إنه ما دام يتألم بالسماع فعليه أن يرفع ذقنه إلى أعلى وسينال بالنظر ألماً أشد مما ناله بالسماع. وعندئذ رفع دانتى وجهه إليها بصعوبة تفوق صعوبة خلع الرياح أشجار اللبخ الضخمة، سواء فى ذلك أكانت رياح أوروبا الباردة أم رياح ياربا الدافئة ، أى رياح إفريقيا ، نسبة إلى ياربا ملك نوميديا كما ورد فى الأساطير الرومانية . وحينما دعت وجهه باللحية أدرك دانتى سخرية بياتريتشى منه ، عندما قصدت أن تقول له إنه لم يعد طفلا (١٦) .

وفى الأنشودة الثانية والثلاثين فى الفردوس الأرضى كذلك، يشهد دانتى موكب بياتريتشى ورآها تهبط من العربة التى كانت تعتليها، وسمع ترتيلا صادراً عن الملائكة ، فأخذه النوم على أنغام اللحن العذب الصافى (١٧) . وحينما عاد إلى وعيه رأى ماتيلدا واقفة أمامه فتساءل أين بياتريتشى ، فلفتت ماتيلدا نظره إليها إذ تجلس عند أسفل الشجرة الجديدة ، وتحيط بها الحوريات، بينما صعد موكب الشيوخ — رمز إصحاحات العهد القديم — إلى السماء (١٨) . لم يعرف دانتى هل تكلمت ماتيلدا أكثر من ذلك لأنه كان مستغرقاً فى التفكير فى بياتريتشى حتى تعذر عليه إدراك أى شىء آخر . وجلست ماتيلدا على الأرض ، وظلت هناك كحارسة للعربة التى ربطها الوحش المزدوج (١٩). وشهد دانتى الحوريات السبع يدرن حولها وفى أيديهن السرج المشتعلة، وهن آمنات من ريح الشمال الباردة ومن ريح الجنوب الدافئة التى تعصف فى ليبيا وتهب على أوروبا (٢٠) .

وعلى ذلك نجد دانتى قد وضع نفسه وڤرجيليو فى مقدمة المطهر فى إطار واحد — مع التفاوت فى تفصيلات الموقف — مع بلاكوا الفلورنسى ، حين صلاة القلوب الرحيمة ، وربط بين حلول الظهر فى نصف الكرة الجنوبى وحلول الليل فى نصف الكرة الشمالى بين نهر الكنج ومراكش ومزج بين ستاتزيوس وڤرجيليو ونفسه ، ونار المطهر ، وجويدو جوينتزلى البولونى ، وسكان المناطق الحارة فى الهند وإثيوپيا. وفى الفردوس الأرضى وصل بين رمز المسيح ، ورمز الكنيسة الظافرة ، وشپيون الأفريقى ؛ وأغسطس قيصر ؛ وفيتون وجوپيتر . ومزج بين بياتريتشى ونفسه ؛ وترتيل الملائكة ، والثلج المتجمد على أشجار الأپينين ، ورياح سلافونيا الباردة ، ورياح أفريقيا الحارة ، عند تنهده وبكائه وربط بين لوم بياتريتشى إياه ، وإحساسه بالخجل ، ورفع وجهه إليها ، وعصف رياح أوروپا الباردة ورياح أفريقيا الحارة . ووصل بين موكب بياتريتشى وترتيل الملائكة ، وماتيلدا ، والحوريات من حولها ، ورياح أوروپا الباردة ورياح أفريقيا الساخنة .

هذه هى الصورة التى استمدها دانتى فى المطهر من أساطير إفريقيا وتاريخها وبيئتها . وفى المطهر — كما فى الجحيم — لم تبد واحدة من الصور الافريقية قلقة فى موضعها ، أو متنافرة مع ما يحيط بها ، أو منفصلة عن السياق العام ، بل جاءت متسقة مع سائر العناصر والجزئيات ، متآلفه مع الأفكار والمعانى والأخيلة التى أشاد دانتى عليها مطهره ، وبذلك تكون إفريقيا قد أسهمت فى بناء هذا التراث العظيم .

٤ : ١٣٠ - ١٣٩

١٣٠ ينبغى أولاً (٢١) أن تدور السماء من حولى
وأنا بالخارج (٢٢) ، بقدر ما فعلتْ فى أثناء حياتى ،
لأنى أخرّت إلى النهاية تنهّداتى الطيبة (٢٣) —

١٣٣ وذلك إن لم تعاونى قبلاً صلاةٌ تصدر
من قلبٍ يحيا ممتعاً بنعمة الله (٢٤)
وماذا يُجدى غيرها مما لا يُستمع إليه فى رحاب السماء (٢٥)؟».

١٣٦ وكان الشاعر قد أخذ يصعد
أمامى وهو يقول : « تعال الآن ، وانظر الجنوب
قد لمستْه الشمس (٢٦) ، وعند الشاطىء

١٣٩ يغطىّ الليل بقدميه مراكش (٢٧) » .

٢٦ : ١٦ - ٢٩

١٦ « أنت يا مَنْ تذهب فى إثر الآخرين (٢٨) ،
لا لتكون أبطأهم ، بل ربما على سبيل الاحترام ،
علاّ تحبينى أنا الذى أحترق بالعطش (٢٩) والنار .

١٩ ولستُ وحدى فى حاجة إلى إجابتك (٣٠) ،
إذ أن هؤلاء جميعاً أشدّ تعطشاً إليها
من الهندىّ أو الإثيوبىّ إلى الماء البارد (٣١) .

٢٢ ولتخبرنا كيف تصنع من نفسك جداراً
قبالة الشمس (٣٢) ، كأنك لم تخطُ بعدُ
إلى داخل شباك الموت » .

130 «Prima convien che tanto il ciel m'aggiri

di fuor da essa, quanto fece in vita,
perch'io indugiai al fin i buon sospiri,

133 se orazione in prima non m'aita
che surga su di cuor che in grazia viva :
l'altra che val, che'n eiel non è udita?»

136 E già il poeta innanzi mi saliva,
e dicea : «Vienne omai : vedi ch'è tocco
meridian dal sole ed alla riva

139 cuopre la notte già col piè Marrocco».

16 «O tu che vai, non per esser più tardo,
ma forse reverente, alli altri dopo,
rispondi a me che'n sete e'n foco ardo.

19 Nè solo a me la tua risposta è uopo,
chè tutti questi n' hanno maggior sete
che d' acqua fredda Indo o Etiopo.

22 Dinne com' è che fai di te parete
al sol, pur come tu non fossi ancora
di morte intrato dentro dálla rete».

٢٥ هكذا خاطبنى أحدهم .

٢٩ : ١٠٦ — ١٢٠

١٠٦ واحتوتْ المسافة بينهم الأربعة
عربة نصرٍ [٣٣] ذات عجلتين [٣٤] ،
جاءت يسحبها الجريفون بعنقه [٣٥] .

١٠٩ وإلى أعلى مدَّ كلا الجناحين [٣٦] ، بين المجموعة الوسطى
وبينَ كل من المجموعتين الثلاثيتين من أشرطة النار ،
حتى إنه لم يُزعج بحركته إحداها [٣٧]

١١٢ وعلا ارتفاع جناحيه حتى لم يُرَ لهما آخر
وبقدر ما كان طيراً كانت أعضاؤه من ذهب [٣٩] ،
وكان سائره أبيض اللون مُشرباً بالحمرة [٤٠] .

١١٥ ولا يقتصر الأمر على أن روما لم تمجِّد
الأفريقَ [٤١] أو أغسطس [٤٢] بعربة جد جميلة ،
بل إن عربة الشمس تبدو فقيرةً بجانبها [٤٣]

١١٨ ولمَّا حادتْ عربة الشمس عن طريقها :
احترقت بصلاة الأرض المُبتهلة ،
حينما كان جوبيتر عادلاً فى حكمه المُبهم [٤٤] .

٣٠ : ٧٩ — ٩٩

٧٩ وكما تبدو أمٌّ لابنها قاسيةً
هكذا بدتْ لى ، إذْ أن الاشفاق المشوب بالقسوة
ذو غُصَّةٍ مريرة الطعم [٤٥] .

Sì mi parlava un d'essi.

XXIX. : 106...120.

Lo spazio dentro a lor quattro contenne
un carro, in su due rote, triunlale,
ch'al collo d'un grifon tirato venne.

Esso tendeva in su l'una e l'altra ale
tra la mezzana e le tre e tre liste,
si ch'a nulli, fendendo, facea male.

Tanto salivan che non eran viste;
le membra d'oro avea quant' era uccello,
e bianche l'altra, di vermiglio miste.

Non che Roma di carro cosî bello
rallegrasse Affricano, o vero Augusto,
ma quel del Sol saria pover con ello;

quel del Sol che, sviando, fu combusto
per l'orazion della Terra devota,
quando fu giove arcanamente giusto.

XXX. : 79—99.

Cosi la madre al figlio par superba,
com'ella parve a me; perchè d'amaro
sent'eodella pietsıɲade dacerba.

٨٢ وصمتت[٤٦] ، ورتّل الملائكة

بغتةً « عليك يارب توكّلت » ،

ولكنهم لم يتجاوزوا قولهم « قدسٌ »[٤٧]

٨٥ وكما يتجمّد الثلج بين الأشجار

المخضرّة [٤٨]فوق ظهر إيطاليا [٤٩]

وقد هبّتْ عليه وأرهقته رياح سلاڤونيا [٥٠] ،

٨٨ ثم يذوبانه بقطر خلال نفسه [٥١] ،

إذا تنفّستْ الأرض التى تفقد الظلّ[٥٢] ،

حتى ليبدو شمعاً تذيبه النار[٥٣]،

٩١ هكذا أصبحتُ دون دمعٍ وتنهّدٍ [٥٤] ،

قبل ترتيل أولئك مَنْ يضبطون ألحانهم أبداً

على ألحان الحلقات الأبدية [٥٥] ،

٩٤ ولكن حينما سمعتْ فى ألحانهم العذبة

حنوّهم علىّ ، أكثرِ مما لو قالوا :

« أيتها السيّدة ، لِمَ تُرهقينه هكذا [٥٦] ؟ » —

٩٧ عندئذٍ صار الثلج الذى أطبق على قلبي

نَفَساً وماءً[٥٧] وخرج مع الأسى

من صدرى ، من الفم ومن العينين [٥٨] .

٣١ : ٦٤ — ٧٥

٦٤ وكما يقف الأطفال خجلين صامتين

بأعينٍ خفيضة إلى الأرض وهم ينصتون ،

ويأخذون فى الإعتراف والندم [٥٩] .

Ella si tacque; e li angeli cantaro
di subito "In te Domine speravi":
ma oltre "pedes meos" non passaro.

Si come neve tra le vivi travi
per lo dosso d'Italia si congela,
soffiata e stretta dalli venti schiavi,

poi, liquefatta, in sè stessa trapela.
pur che la terra che perde ombra spiri
sì che par foco fonder la candela;

così fuii sanza lacrime e sospiri
anzi 'l cantor di quei che notan sempre
dietro alle note delli etterni giri;

ma poi ch' i' 'ntesi nelle dolci tempre
lor compatire a me, più che se detto
avesser : «Donna, perchè sì lo stempre? »,

lo gel che m'era intorno al cor ristretto,
spirito e acqua fessi, e con angoscia
della bocca e delli occhi uscì del petto.

XXXI. : 64...75.

Quali i fanciulli, vergognendo, muti
con li occhi a terra stannosi, ascoltando
e sè riconoscendo e ripentuti,

٦٧ هكذا وقفتُ ، فقالت :

« ما دامت تتألّم بما تسمع ، فارفع لحيتك ،
وستنال بالنظر إلىّ ألماً أشدّ (٦٠) » .

٧٠ وإن اللّبخ الضخم ليُخلع إما بريح
بلادنا (٦١) أو بتلك الريح من بلاد يارْبا (٦٢) .
بمقاومةٍ أقلّ مما بذلتُه

٧٣ عندما رفعت بأمرها ذقنى (٦٣) ،
وحينما دعتْ وجهى باللحية ،
تبينت جلياً فى حديثها مرارة اللوم (٦٤) .

٣٢ : ٩١ – ٩٩

٩١ ولا أعرف إذا كانت قد استرسلت
فى كلامها ، إذ كان فى عينىّ الآن تلك التى
عاقتنى عن الانتباه إلى شىء سواها (٦٥) .

٩٤ وجلستْ وحيدةً على الأرض الحقّة (٦٦) ،
وهناك تُركتْ كحارسةٍ للعربة
التى رأيت يربطها الوحش ذو الطبيعة المزدوجة .

٩٧ وصنعت الحوريات السبع من أنفسهنّ
حولها سوراً بما فى أيديهن من الانوار
الآمنة (٦٧) من ريح الشمال والجنوب (٦٨) .

67 Tal mi stav' io: ed ella disse «Quando
per udir se' dolente, alza la barba,
e prenderai più doglia riguardando».

70 Con men di resistenza si dibarba
robusto cerro, o vero al nostral vento
o vero a quel della terra di Jarba,

73 ch' io non levai al suo comando mento,
e quando per la barba il viso chiese,
ben conobbi il velen dell' argomento.

XXXII. : 91—99.

91 E se più fu lo suo parlar diffuso,
non so, pero che già nelli occhi m'era
quella ch'ad altro intender m'avea chiuso.

94 Sola sedeasi in su la terra vera,
come guardia lasciata lì del plaustro
che legar vidi alla biforme fera.

97 In cerchio le facean di sè claustro
le sette ninfe, con quei lumi in mano
che son sicuri d'Aquilone e d'Austro.

الحواشي

* سبق أن نشر مضمون هذا المقال بعنوان « إفريقيا فى مطهر دانتى » فى « مجلة كلية الآداب » بجامعة الاسكندرية ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٠ ، حينما لم يكن لهذا المعهد مجلة علمية . والآن يعاد نشره مع إجراء تعديل وتنقيح وإضافة نتيجة للمزيد من البحث والتذوق ، وبناء على ما استجد من الدراسات ، وذلك تعميما للفائدة وإيضاحا لإسهام التراث الافريقى فى تقدم الحضارة الإنسانية .

(١) كتب الإيطاليون شعرهم فى القرن الحادى عشر باللغة الفرنسية ثم بلغة البروفنس التى تأثرت بأدب التروبادور بما فيه من بعض عناصر التراث العربى الشرقى . وفى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر بدأت تظهر فى إيطاليا اللهجات العامية . وظهرت أشعار دينية مثل شعر يواكيمودا فلورا وفرنتشكو داسيسى ، وتلا ذلك ظهور شعر المدرسة الصقلية التى وجد بها عنصر من الشعر التقليدى وعنصر من الشعر الإنسانى . ولذلك كان الأدب الإيطالى فى ذلك العصر أدبا وليدا . ويرجع تأخر ظهور الأدب الإيطالى إلى تأثير إيطاليا بالتراث اللاتينى وعدم استطاعتها التخلص منه بسهولة ، وإلى الظروف المضطربة التى سادت إيطاليا عقب غارات البرابرة الجرمان على الأمبراطورية الرومانية .

(٢) الأمبراطور فردريك الثانى (Federico ii. ١١٩٤ – ١٢٥٠) من أسرة هوهنشتاوفن الألمانية إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . كان رجلا واسع الأفق عالما عارفا بتراث القدماء وتراث العرب وحارب البابوية وعقد معاهدة مع الملك الكامل فى ١٢٢٩ .

(٣) كانت نشأة الأدب الإيطالى بعد المدرسة الصقلية كما يلى : مدرسة بولونيا التى ظهرت فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وتمتاز بشعرها التقليدى والإنسانى على السواء ، واتخذت لهجة تسكانا أداة لها ويرجع ذلك إلى نقاء اللهجة التسكانية وقلة تأثرها بلهجات الغزاة الأجانب ، فأتيحت لها الفرصة لكى تنمو وتتطور فى بيئتها المحلية تطوراً تدريجيا ، وكذلك لتفوق تسكانا فى المجتمع السياسى والاقتصادى ومن شعراء هذه المدرسة جويدو جوينتزلى . ثم جاءت المدرسة الفلورنسية الحديثة أو مدرسة تسكانا . واجتمع فيها كذلك الشعر التقليدى والشعر الإنسانى العاطفى . وكان من شعرائها جويدو كافالكانتى ودانتى أليجييرى .

(٤) دانتى أليجييرى (Dante Alighieri ١٢٦٥ – ١٣٢١) ولد فى فلورنسا ومات منفيا فى رافنا . وهو مع هو ميروس وشكسبير واحد من أعظم شعراء العالم الثلاثة . وكان متعدد النواحى فاشترك فى الحرب واشتغل بالسياسة وأولع بالرسم والموسيقى والشعر وعاش فى المنفى سنوات طويلة ، وكانت الآلام والمحن التى انصبت عليه بوتقة عبقريته . ومن آثاره « الحياة الجديدة والوليمة والملكية والكوميديا الإلهية » .

(٥) الكوميديا الإلهية (La Divina Commedia)من أعظم الآثار الأدبية فى العالم،وضعها دنتى فى حياة المنفى ، واستمد أصولها من تراث القدماء وتراث العصور الوسطى بما اشتمل عليه من تراث الإسلام والشرق ، واستمدها من بلاده وحياته وتجربته وإحساسه ، وتتألف من مجموعات ثلاثية وتقع فى ١٤٢٣٣ بيتا من الشعر . والكوميديا رحلة خيالية إلى العالم الآخر استغرقت سبعة أيام . وتنقسم ثلاثة أقسام : الجحيم ويمثل الشباب الحر الطليق المتكبر الثائر ويصور الفطرة والغرائز والخطيئة والمأساة والحياة الدنيا ؛ والمطهر يمثل التجربة والنضج والتأمل والتفكير والتطهر والغفران ؛ والفردوس يصور الكهولة والطهارة والحب والصفاء والحرية والنور الإلهى . والكوميديا مرآة الحياة وقصيدة الإنسانية الكبرى ، وهدف دانتى بوضعها إلى تغيير الإنسان وإصلاح المجتمع ، وكأنه أراد بذلك أن يضع كتابا مقدسا جديدا يهدى البشر عن طريق الفن الرفيع إلى سواء السبيل . والكوميديا كتدرائية ضخمة وعمارة شاهقة محكمة البناء جعل دانتى فيها الإنسان والعالم والله والدنيا والآخرة فى بؤرة واحدة ، ووضع فى إطارها العام كل المعارف والجزئيات الدقيقة المادية والمعنوية . وألغى فيها فوارق الزمان والمكان ومزج بين الأسطورة والتاريخ وبين الواقع والخيال . وقدم بريشة الفنان صورا مأخوذة من الحياة الواقعة ، ورسم الطبيعة ، وشهوات النفس ، والتوبة والإيمان والأمل . ولا زخرف ولا صناعة فى شعر دانتى ، ولغته دقيقة محددة ، وأسلوبه موجز مركز ، وليس مثله من يحس بالحقيقة ويعبر عنها بأمانة وسهولة . وهو يكتب أقوى الشعر وأفخمه كما يكتب أجمل الشعر وأرقه . ودانتى موضوع دراسة عظيمة فى أنحاء العالم المتحضر والمكتبة الدانتية زاخرة بالمؤلفات فى شتى اللغات . وترجمت الكوميديا إلى الانجليزية مثلا أكثر من ٤٧ ترجمة كاملة عدا الترجمات الجزئية ، وترجمت إلى الفرنسية أكثر من ٢٢ ترجمة كاملة عدا الترجمات الجزئية . وطبعت ترجمة عربية لها فى طرابلس الغرب ، كما نشرت ترجمة عربية للجحيم وحدها فى القدس ، وهذا فضلا عن ترجمتى للكوميديا فى ثلاثة أجزاء نشرت مرة أو أكثر منذ ١٩٥٩ حتى ١٩٧٠ .

(٦) حسن عثمان : إفريقيا فى جحيم دانتى . مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية مجلد ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ . الإسكندرية ١٩٥٦

(٧) Purg. IV. 130 — 133.

(٨) Purg. IV. 130. — 139.

(٩) Purg. XXVI. 1 — 15.

(١٠) Puag. XXVI. 61 —25.

(١١) Purg. XXIX. 91 — 105.

(١٢) Purg. XXIX. 106. — 120.

(١٣) Purg. XXX. 55 — 78.

(١٤) Purg. XXX. 79 — 99.

(١٥) Purg. XXXI. 58 — 63.

(١٦) Purg. XXXI. 64 — 75.

(١٧) Purg. XXXII. 16 —68.

(١٨) Purg. XXXII. 70 —90.

(١٩) Purg. XXXII. 94 —96.

(٢٠) Purg. XXXII. 97 — 99.

(٢١) يعنى قبل أن يدخل باب المطهر .

(٢٢) أى خارج باب المطهر يعنى فى مقدمة المطهر .

(٢٣) يعنى أنه تأخر فى التوبة والغفران إلى آخر لحظة من حياته بسبب الإهمال والكسل .

(٢٤) هذا لأن صلاة الأحياء ودعاءهم تقصر مدة التطهر . ويشبه هذا المعنى ما ورد فى الكتاب المقدس .

Giov. IX. 31; Giob. XXVII. 9; XXXV. 13.

(٢٥) لا ينفع هنا شىء سوى الصلاة لتقصير مدة تطهر بلاكوا ولذلك فهو لا يحرك ساكنا وينتظر الزمن المقرر له . ويتناسب هذا مع الكسل الذى لازمه فى حياته . وفى هذا النوع من الأسى والرضا بحكم القدر .

ويشبه هذا المعنى بعض ما ورد فى تراث الإسلام من حيث أن الصلاة هدية وثواب من أهل الأرض إلى أهل المقابر : السيوطى ، عبد الرحمن : كتاب شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور . القاهرة ، ١٣١٧ هـ . ص ١٢١ .

(٢٦) يشبه هذا ما أورده أوفيديوس : Ov.Met. II. 142.

(٢٧) يعنى أن الوقت أصبح ظهرا فى المطهر بينما حل الليل فى نصف الكرة الشمالى من نهر الكنج إلى مراكش — المغرب — آخر جزء من العالم المسكون كما كان معروف فى عصر دانتى .

(٢٨) المتكلم هو جديدو جوينتزلى (Guido. Guinizelli) (١٢٣٠—٢٧٦) الشاعر البولونى الذى يمثل مدرسة الشعر فى بولونيا التى تعتبر إحدى المراحل ظهور الأدب الإيطالى .

(٢٩) المقصود بالعطش هنا الرغبة فى معرفة شخص دانتى وكيف جاء إلى هذا المكان وهو على قيد الحياة.

(٣٠) يتكلم هذا الروح نيابة عن جميع رفاقه المتعطشين إلى معرفة شخص دانتى .

(٣١) يقارن هذا الروح العطش إلى المعرفة هنا بعطش الهندى أو الإثيوبى الذى يعيش فى البلاد الحارة إلى الماء البارد المنعش ، واعتبر جغرافيو العصر ودانتى أن إثيوبيا تقع فى أقصى جنوبى أفريقيا فى المنطقة الاستوائية .

(٣٢) يعنى كيف ينعكس ظل دانتى على النار المشتعلة بجسمه الذى لا تنفذ خلاله أشعة الشمس .

(٣٣) العربة رمز للكنيسة الظافرة والفكرة مأخوذة من حزقيال Ezech. I. 15-21.

(٣٤) العجلتان رمز للتوراة والإنجيل اللذين تعتمد عليهما الكنيسة .

(٣٥) الجريفون Griphon حيوان خرافى له رأس نسر وجناحاه وله جسم أسد . ويرى النقاد انه رمز للمسيح مؤسس الكنيسة وله طبيعتان : طبيعة إلهية تتمثل فى الطير وطبيعة إنسانية تتمثل فى الأسد.

(٣٦) يرمز الجناحان للمحبة والعدل الإلهى .

(٣٧) رفع الجريفون جناحيه فى المسافة الخالية بين شريط اللهب الذى فى الوسط — السراج الأوسط — وبين المجموعتين الثلاثيتين من اللهب على الجانبين وبذلك لم تؤثر حركة جناحيه على نار السرج .

(٣٨) ارتفع الجناحان إلى السماء حتى لم ير دانتى نهايتهما ، وذلك لأن الجريفون رمز للمسيح الإنسان الإله عند المسيحيين ، وهو فى الأرض والسماء فى وقت واحد . ولذلك لا تصل عين الإنسان إلى رؤيته فى السماء .

(٣٩) يعنى كان الرأس والجناحان من الذهب رمز الطبيعة الإلهية فى الجريفون .

(٤٠) كانت سائر الأعضاء ذات لون أبيض ممتزج بالحمرة رمز الطبيعة الإنسانية والتلوين مقتبس من الكتاب المقدس :

Cant. Cant. V. 10 - 11.

(٤١) شيبيون الافريقى (Scipione Africano) القائد الرومانى الذى هزم هانيبال فى زاما سنة ١٨٥ وتكررت الإشارة إليه فى الكوميديا :

Inf. XXXI. 116; Par. VI. 53: XXVII. 61 - 62.

وقد ألف جورج فردريك هيندل (١٦٨٥ — ١٧٥٩) ألحان أوبرا عن شيبيونى :

Haemdel, G. F. : Scipione, opera. London, 1726.

(٤٢) أغسطس قيصر (Augustus) الامبراطور الرومانى وتكرر ذكره والإشارة إليه فى الكوميديا :

Inf. I. 71; Purg. VII. 6; Par. VI. 73 - 81.

(٤٣) أى أن هذه العربة كانت أجمل من عربة شيبيون وعربة أغسطس وعربة فيتون .

(٤٤) خرجت عربة فيتون (Phetone) عن طريقها وهى ترتفع إلى الشمس وأمام ضراعة الأرض قتله جوبيتر بصاعقة وتكرر ذكره فى الكوميديا وأورد أوفيديوس أسطورته :

Inf. XVII. 107; Purg. IV. 72; Par. XXXI. 125.
Ov Met. II. 278 - 300.

وقد رسم سانتى دى تيتو (١٥٣٦ — ١٦٠٣) صورة تمثل حزن أخوات فيتون على موته وهى فى القصر القديم فى فلورنسا .

وألف جان باتيست لولى (١٦٣٢ — ١٦٨٧) ألحان أوبرا فيتون :

Lully, J.B. : Phaêton, opêra. Paris, 1683. (ex. Anthologie sonore).

(٤٥) بدت بياتريتشى لدانتى كأنها أم متعالية حينما تلوم أبنها ، ولا يدرك الابن أن خشونة الأم مبعثها الحب وهدفها المصلحة ولا يشعر سوى بمرارة اللوم . وهذا تصوير دقيق مأخوذ من الحياة الواقعة .

(٤٦) بعد هذا اللوم من جانب والخجل من جانب آخر سادت فترة صمت ، فسكتت بياتريتشى وصمت دانتى .

(٤٧) قطع الصمت فجأة ترتيل الملائكة الذين أخذهم الإشفاق على دانتى فدافعوا عنه بالترتيل وبأبيات من الكتاب المقدس :

Salm. XXXI. 1 - 9.

(٤٨) أى الأشجار الخضراء ويشبه هذا ما أورده فرجيليو وأوفيديوس :

Virg.l Aen. VI. 181.

Ov. Met. VIII. 329 ; X. 372...

(٤٩) يعنى جبل الأبنين .

(٥٠) هذه هى الرياح الباردة التى تأتى من سلافونيا (Siavonia) وفى القرن ١٤ كان يطلق هذا الاسم على المنطقة الواقعة بين دلماشيا ونهر الدراف .

(٥١) تذوب الطبقة العليا من الثلج بحرارة الجو ثم تنساب إلى أسفل .

(٥٢) الأرض التى تفقد الظل هى أرض أفريقيا لأن الشمس فى مناطقها الاستوائية تصبح عمودية على خط الاستواء مرتين فى السنة وعندئذ لا تدع للأشياء ظلا بوضعها العمودى والمقصود أن الثلج يذوب إذا بعثت أرض أفريقيا برياحها الساخنة .

(٥٣) تشبه رياح أفريقيا الحارة النار التى تذيب الشمع .

(٥٤) يعنى أن كلام بياتريتشى القاسى كان كالريح الباردة فتجمد دانتى وتحجر أمامها . وأصبح ترتيل الملائكة كرياح أفريقيا الحارة التى تذيب الثلج .

(٥٥) هذا تعبير موسيقى يعنى أن الملائكة يتابعون فى ترتيلهم ألحان السماء .

(٥٦) أحس دانتى فى ترتيل الملائكة بالعطف والإشفاق عليه وكان ذلك أفعل فى نفسه مما لو لاموا بياتريتشى على معاملتها إياه .

(٥٧) حينما أحس دانتى باشفاق الملائكة عليه ذاب الثلج الذى أحاط بقلبه وتحول إلى تنهد ودموع . وهذا هو دانتى الرقيق المرهف الحس الذى يتألم حتى ينهمر دمعه .

(٥٨) تعبير دانتى فى هذا الموقف من أصدق ما ورد على ألسنة الشعراء وهو وصف صادق لبعض ما يخالج النفس البشرية .

(٥٩) هذه صورة دقيقة للطفل الصامت الخجول وأورد دانتى هذا المعنى فى الوليمة :

Conv. IV. XIX. 10.

(٦٠) أى مادام دانتى يتألم بسماع اللوم وهو خفيض العينين سيزيد ألمه إذا رفع وجهه ونظر إلى بياتريتشى .

(٦١) يعنى ريح الشمال الباردة .

(٦٢) ياربا (Iarba) يعنى ريح إفريقيا نسبة إلى ملك نوميديا الذى كان من عشاق ديدون ملكة قرطاجنة وأورد فرجيليو هذه الأسطورة :

Virg. Aen. IV. 196 - 197.

(٦٣) هذا دليل على العناء والجهد الذى بذله دانتى فى رفع وجهه الخفيض .

(٦٤) حينما ذكرت بياتريتشى لفظ الفجيعة أدرك دانتى أنها تريد أن تقول له إنه ليس طفلا به إنه رجل ناضج ولا عذر له فى ارتكاب الإثم .

(٦٥) لم يدر دانتى هل تكلمت ماتيلدا أكثر أو لا لأنه استغرق فى التفكير فى بياتريتشى .

(٦٦) يفسر بعض الشراح لفظ (vera) هنا بمعنى العارى ويشير هذا إلى أن رجال الكنيسة القدامى كانوا فقراء متواضعين . ويرى آخرون أن معنى اللفظ هو الأرض الحقيقية ، أرض الفردوس المطيع لله .

(٦٧) كانت السرج تتحرك وحدها من قبل أما الآن فقد أمسكت بها الخوريات السبع .

(٨٦) ريح الشمال (Aquilone) التى تهب من شمال أوروبا وريح الجنوب (Austro) الحارة التى تعصف فى ليبيا وتهب على جنوب أوروبا .

مكتبة البحث

(أولا) مؤلفات دانتى :

(أ) فى نصوصها :

Dante Alighieri : La Divina Commedia

— col commento di P. Fraticelli. Firezne, 1902.

— nel testo critico della Società Dantesea Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

— con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.

— commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.

— testo critico a cura di M. Casella. Bologna, 1949.

— col commteno di G. A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano 1949.

— commentata da A. Momiglino. Firenze, 1950.

— Le opera di Dante Alighieri, a ura di E. Moore, nouvamente rivedute nel testo da P. Toynbee. Oxord, 1924.

— La Divina Commedia. Prentazico di M. Apollonio. 6 voll. (ed. Fabbri) Milano, 1965.

— Dante, Opere, a cura di M. Porena e M. Pazzaglia. Bologna, 1966.

— Opere Minori. Firenze, 1935.

(ب) بعض ترجمات انجليزية (وأمريكية) :

— The Divine Comedy, Trans. by H. F. Cary Florence ?

— The Divine Comedy, trans. by M. Andersen. U.S.A. ?

— The Divine Comedy, trans. by L. G. White. New York, 1948.

— The Comedy of Dante Alighieri, Cantica II. Purgatory, trans. by D. L. Sayers. Edinburgh, 1955.

— La Divina Commedia with an English trans. by H. M. Ayres. New York, 1949—1953.

— The Divine Comedy, trans. by G. L. Bichersteth. Aberdeen, 1955.

— The Divine Comedy of Dante Alighieri, English Translation by L. Biancolli, 2 vols. New York, 1966.

(ج) بعض ترجمات فرنسية :

— La Divine Comédie, trad. par A. Pératé. Paris, 1921.
— La Divino Comédie, trad. par H. Longnon. Paris, 1938.
— La Divine Comédie, trad. par A. Brizeux. Paris, 1943.
— La Divine Comédie, trad. par A. Masseron, Paris, 1947—1950.
— Dante, oEuvres Complètes, traduction et commentaires par A. Pêzard (La Pléiade). Paris, 1965.

(د) ترجمات عربية :

— المرحلة الدانتية فى الممالك الإلهية : الجحيم — المطهر — النعيم . ترجمة عبود أبى راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ — ١٩٣٣

— كوميديا دانتى أليجيرى « الفلورنسيا مولدا لا خلقا » : النشيد الثانى : المطهر . ترجمة حسن عثمان . الطبعة الثانية المزيدة المنقحة . القاهرة ، ١٩٧٠ .

(ثانيا) بعض المراجع :

Bosco, U. Dante vicine. Palermo, 1966.
De Sancitis, F : Saggi Critici. Milano, 1921.
De Sanctis, F. : Storia della Letteratura Italiana. vol. I., Milona, 1934.
Gustarelli, A. : Dizionario Dantesco. Milano, 1946.
Hauvette, H. : Histoire de la littérature Italienne. Paris, 1932.
Palhories, F. : Dante et la Divine Comédie. Paris, 1936.
Papini, G. : Dante Vivo. Firenze, 1943.
Papini, : Storia della letteratura Italiana. vol. I. Milano, 1935.
Petrocchi, G. : Dante e il suo Tempo. Torino, 1964.
Toynbee, P. : Dante Dictionary. Oxford, 1898.
Toynbee, P. : Dante Studies and Researches. London, 1902.
Tozer, H. E. : An English Commentary on Dante's Divina Commedia. Oxford, 1901.
Vittorini, D. : The age of Dante. New York, 1964.
Wilkins, E. H.: A History of Literature Cambridge, U.S.A., 1954 .
Zingarelli, N. : La vita, I Tempi e le Opere di Dante. 2 voll. Milano,1948.

روجرز ، ج . بول : فلورنسا فى عصر دانتى ، ترجمة محمود إبراهيم . بيروت ، ١٩٦٨ .

حسن عثمان

Hassan Osman